Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولئن نظر «پياجيه» إلى اللغة من حيث إنها تنظيم قائم ضمن المجتمع يتيح لمن يكتسبه وسائل فكرية غنية فإنّه، مع ذلك، رأى أنها لا تكوّن شرطاً كافياً لاكتساب العمليات الفكرية. فاللغة برأيه، تأتي بعد اكتساب الطفل القدرة على الترميز(٦). ذاك أن الكلمات الأولى التي بالإمكان تمييزها عند الطفل تشبه الرموز التي يمكن قرنها بالشيء ولا تكوّن تنظيماً.

تُظهر أوّل كلمات الطفل سمة المحاكاة في الرمز، إذ تُؤخذ من لغة الكبار وتحاكي الأشياء بصورة منعزلة، وتظهر تغيّر الرمز، بعكس ثبات الإشارة اللغوية، فالرمز يشبه الشيء ظاهريًّا، وهو مظهر ذاتي، في حين أنّ الإشارة اللغوية بالمقابل، مظهر اجتماعي وطابعها كيفي.

تبدأ المقدرة على تصوّر الواقع بواسطة الكلمات في المرحلة الحسيّة ـ الحركية من نمو الطفل، وتكوّن نمطاً من التصوّر بواسطة الفعل. في نهاية هذه المرحلة يصبح التصوّر ممكناً في غياب الشيء أو النموذج، فيتمّ بالتالي، التطوّر عند الطفل من الرمز إلى الإشارة الحقيقية في مفهومها الألسني، وفي هذا الصدد يقول «پياجيه»:

«عندما نتحدَّث عن التصوّر، فإننا نتحدَّث بالنتيجة عن وحدة الدالّ الذي يتيح استدعاء المدلول الذي يؤمّنه الفكر. ويشكّل التأسيس الجماعي للغة، من هذه الزاوية، العامل الأساسي في تكوين التصوّرات وتماسكها الاجتماعي. ولا يصبح بمقدور الطفل استعمال الإشارات اللفظية بشكل تام إلا تبعاً للتقدّم الذي يحصل في فكره... يبقى تفكير الطفل أشد رمزية بكثير من تفكيرنا، وذلك بالمعنى الذي يتعارض فيه الرمز مع الإشارة»(٧).

إنّ اللغة، في نظر «پياجيه»، لها الجذور نفسها التي هي للّعب الترميزي، وتؤدّي، في البدء الدور نفسه الذي يؤدّيه اللعب الترميزي. فالطفل يقوم، منذ ما قبل ظهور اللغة، بأشكال متنوعة من المحاكاة واللعب الترميزي، فيتمدّد مثلاً، على الوسادة متظاهراً بالنوم في سرير أمّه، ويتناول الأشياء، ويضفي عليها دلالة خيالية نابعة من خبراته، بحيث يستعمل الأشياء بوصفها رموزاً دالّةً لأشياء أخرى. وهذه التصرفات تشير إلى اكتساب الطفل الوظيفة الترميزية. وبالرغم من أنّ اللغة تكون في

---

(٦) انظر: J. Piaget, **Le Langage et la pensée.**

(٧) J. Piaget, **La Formation du Symbole chez l'enfant**, pp. 286-287.